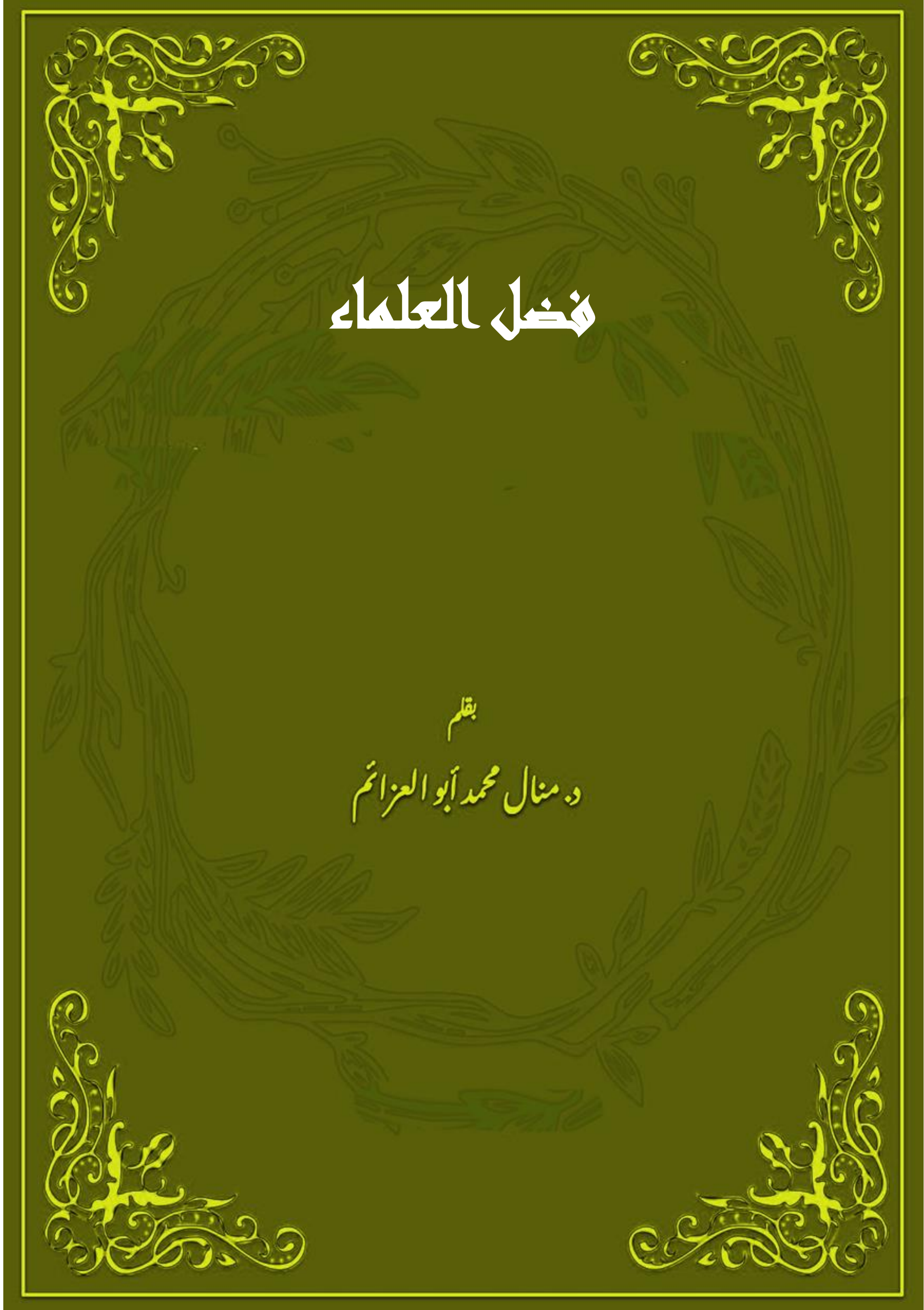


فضل العلماء

بقلم

د. منال محمد أبو العزائم

فضل العلماء

د. منال محمد أبو العزائم



المحتويات

مقدمة في فضل العلماء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد كرم الله تعالى هذه الأمة بالعلم، وأنزل كتابه العزيز ليكون للعالمين هادياً ومنيراً، ثم أنزل معه السنة لتكون شارحة له ومكملة لما جاء فيه. وتكفَّل تعالى بحفظ كتابه الكريم من الضياع والتحريف والتبديل. وهي سمة إتسمت بها هذه الأمة وفُضِّلت بها دون سائر الأمم. فهو محفوظ في صدور العلماء والحفاظ كما هو محفوظ بالكتب والأقلام. وكرَّم الله العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء. فهم نجوم هذه الأمة وأسرجتها بعد رحيل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام. حيث تولوا حمل راية العلم ونشره بين الأنام. وقد جاء فضلهم في كثير من الآيات وأحاديث، ومنها قوله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين)[2]. وهذا كتاب مختصر تكلمت فيه عن فضل العلماء ومكانتهم، ودورهم ومهماتهم، وشرارهم وعقوبة كتم العلم، وخطورة إصدار فتاوى خاطئة.

فضل العالم على العابد

لقد رفع الله تعالى مكانة العلماء في هذه الأمة، وجعل للعالم فضل حتى العابد وعلى عامة المسلمين. قال صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقا يبتغي فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر

---

[1] المجادلة: ١١.

[2] كتاب سنن ابن ماجه ت عبد الباقي، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج١، ص٨٠، نسخة المكتبة الشاملة.

الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافرٍ)[3]. ولا يخفى على اللبيب هذا الفضل، وذلك لأن العالم يعبد الله على هدى ونور الذي استقاه من العلم. فهو يحميه ويحرسه من الزيغ والضلال كما يحصنه من الغواية والفتن والبدع والأهواء. وزيادة العلم تزيد إيمان المرء وتحفظه وتعصمه من الخطأ في الفتوى والرأي، وتقوي لسانه في الخطابة وتزيد من نور بصيرته وهديه. وعندما يتقدم طالب العلم في مساره يتدرج ليصير عالماً، ثم يرتقي بالتعمق في العلم والمعرفة بالله ليصبح إذا صلحت نيته من العلماء الربانيين الذين يجري الله على ألسنتهم الحكمة وفصل الخطاب. والذين يفهمون مقاصد الشريعة ويفتون على هدى وميزان داخلي مبني على ما حفظته ألسنتهم ووعته قلوبهم من نور القرآن الكريم والسنة والمطهرة ومجمع الأمة. كما أن العلم يُمكِّن خشية الله في قلب المؤمن. قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى

---

[3] أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥) باختلاف يسير.

اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[4]. فكلما إزداد المرء علما كلما إزداد خشية. والعارفين بالله يعرفون أنهم لم يصلوا لهذ المنزلة إلا بعد عناء وسهر بين كتب العلم والقرآن والحديث وبعد فهمهم لمراد الله ومقاصد القرآن الكريم والشريعة. وربما ترى العالم في شيبه أورع وأتقى منه في شبابه. والعالم يمشي بمصباح ينير له الطريق إلى أقصر الطرق وأسرعها للوصول إلى الجنة ومعرفة الله، على عكس العابد الذي يسير من غير ذلك المصباح فيكون أقل نورا وبصيرة.

دور العلماء ومهامهم

يقع على عاتق العلماء مهام جلل تتعلق بها مصالح الدولة الإسلامية وصلاح مجتمعها وولاتها. ويحبذ أن يقوموا بها دون غيرهم ممن من هم أقل علم وحكمة. ومن ذلك:

- نشر العلم وتعليم الأمة ما استطاعوا.

---

[4] فاطر: ٢٨.

- دعوة غير المسلمين للإسلام.
- دعوة عصاة المسلمين للتوبة والإنابة.
- نصح ولاة الأمور وتوجيههم لما يصلح حال الأمة ويتوافق مع التعاليم الإسلامية.
- إرشاد المجتمع إلى الإصلاح والتعاون.
- تعليم النشء أسس العقد الصحيح وتعاليم الإسلام.
- الإفتاء بفقه النوازل ومستجدات الأمور التي تتطلب العلم
- تأليف كتب العلوم الشرعية ليستفيد الناس من علمهم.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وضع مناهج العلوم الشرعية التي تدرس في المدارس والجامعات.

عقوبة كتم العلم

لقد حثنا الإسلام على نشر العلم ودعوة الناس إلى الإسلام. ووضع الحمل الأكبر في أمور الفتوى وتأليف الكتب في العلوم الشرعية وعمل الدروس ونشر العلم على علماء الأمة.

حيث هم أولى بهذه المهمات الجلل من غيرهم. وذلك لتعمقهم في العلوم الشرعية ودراسة أطرافها ومجالاتها العامة والخاصة، مثل الفقه والتفسير والعقيدة والآداب وعلوم الآخرة وعلوم اللغة العربية ونحوها. ولما كان عامة الأمة بحاجة إلى من يرشدهم ويهديهم ويجيب على أسئلتهم لا سيما فيما يستجد من الأمور، كان حري بالعلماء أن يتصدوا لهذه المهام. فذلك خير من أن يتصدى لها غيرهم من قليلي العلم والمعرفة. فإن إنسحب العلماء، حل محلهم الجهال فضلوا وأضلوا الناس بفتاوى ضعيفة الدلائل والبراهين. فلأجل ذلك قال بعضهم: (زكاة العلم نشره). وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم بتبليغ أحاديثه، وحذر من الكذب عليه، في قوله: (بلِّغوا عنِّي ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ ومن كذبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَهُ من النَّارِ)[5]. وبين لنا عقاب من سُئل عن علم وكتمه فقال: (مَن سُئِلَ عن عِلمٍ

[5] أخرجه البخاري (٣٤٦١).

فكتمَه، أُلجِمَ يومَ القيامةِ بلِجامٍ من نارٍ)[6]. والأولى بالعالم ألا يكتم ما حباه الله به من علم حتى لا يدخل في الوعيد، وحتى ينشر الخير الذي عنده ويزكيه ويشاركه مع الناس، وله بذلك الأجر العظيم من الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

شرار العلماء

لقد تعلمنا من السنة أن ليس كل العلماء مخلص لله، وأن هناك من يتعلم العلم لأجل الدنيا، ويقوم بمداراة الأمراء والرؤساء ومتابعتهم حتى لو كان على حساب الدين والشرع. ومنهم من يعمل فتاوى تقوم على تحليل ما لم يحلله الشرع. وذلك لأجل مصلحة دنيوية أو منصب أو شهرة يصل إليه بنشر تلك الفتاوى. وقد سمعنا بمقولة (فتوى بفرخة) في مواقع

---

[6] أخرجه أبو داود (٣٦٨٥)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، وأحمد (٧٥٧١) باختلاف يسير، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٣٣٢٢) واللفظ له.

الإنترنت. وإن كانت بجد أو سخرية فإن هذا أمر لا يجوز لأمور كثيرة، منها:

- أن فيه تهكم بالدين وبشرع الله.
- فيه إعطاء الأمر لغير أهله.
- فيه بيع الدين بعرض من الدنيا.
- فيه تضليل للناس وإستخفاف بعقولهم.
- فيه قلة أدب مع الله، وقول على الله بغير علم، أو بعلم مع إصرار على المعصية.
- فيه تضليل للحكام.
- فيه ظلم للناس وتضرر من يتضرر منهم بنتائج تطبيق تلك الفتاوى المغلوطة.

إصدار فتاوى باطلة لغرض دنيوي

لقد حرم الله تعالى التجاوز والتهاون في إصدار فتاوى باطلة. فهي إن كانت بقصد وسابق نية سيئة أدت إلى هلاك المفتي وضلال الأمة. وإن كانت بغير قصد وفقط من باب

الإجتهاد فنرجو لصاحبها المغفرة والعفو من الله عن الزلل الذي لم يعصم به أحد. وإن كانت ضرر الناس بها لا يزال واقعاً. وقد جعل الله عقاب الكذب في الفتوى والتجاوز فيها شديد وعذاب أليم. قال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[7]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق)[8]. وأما من يطلب العلم لأجل الدنيا فهو أول من تسعر به النار يوم القيامة وذلك لفساد نيته وقصده. قال عمر

---

[7] النحل: ١١٦-١١٧.

[8] أخرجه البخاري (٥٠٥٨).

بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى)[9]. وذكر بن باز – رحمه الله – في فتاويه: (إن أولَ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ ثلاثةٌ: منهم: الذي طلب العلمَ وقرأ القرآنَ لغيرِ اللهِ ليقالَ: هو عالمٌ، ولِيقالَ له: قارئٌ)[10]. وقال أحد السلف من أهل العلم: (طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله). فحتى لو مالت النية في أوقات علينا مواصلة السير فإن الله سيعدلها بإذنه تعالى مع التعب والنصب والطلب والإصرار على الوصول. قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[11].

---

[9] أخرجه البخاري (١).

[10] مجموع فتاوى ابن باز (٢/٣٠٧).

[11] العنكبوت: ٦٩.

عقوبة معاداة العلماء

لقد كرم الله العلماء، وجعل منزلتهم عالية، وجعلهم ورثة الأنبياء. وكثير من العلماء وصلوا لدرجة المعرفة بالله والولاية، التي يصل إليها السالك بالعلم والعبادة والتدبر. تلك المنزلة التي نالت محبة الله ومعيته وحمايته. قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[12].

وقد آذن الله تعالى بالحرب من يعادي له ولياً، كما جاء في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره

[12] المجادلة: ١١.

الموت، وأنا أكره مساءته)[13]. فليحذر الذين يعادون العلماء، فإن لحوم العلماء مسمومة كما قيل، وهم في ولاية الله.

أذى العلماء من منظور مقاصد القرآن الكريم:

لقد بينا مكانة العلماء عند الله، وفضلهم على الأمة. فكان حريا الرعية تكريمهم ورفع درجتهم.

- إيذاء العلماء فيه إيذاء لفئة من المسلمين. ولا شك أن أذى المسلم حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ويناقض مقصد التشريع ومقصد تهذيب الأخلاق.
- أذى يضر بالأمة ويجعل مكانتهم في الإفتاء وتبصير الأمة خالية، مما يعطى المجال لحديث الجهلاء وتصدرهم في الفتوى ونصح الأمراء وغيره. وهذا يتعارض مع مقصد سياسة الأمة ومقصد التعليم بما يناسب حالة المخاطبين.

---

[13] أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

- العلماء هم أولياء الله وحملة رسالته بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)[14]. وهذا يتناقض مع مقصد التهذيب.

التساهل في الفتوى من منظور القرآن الكريم

- إصدار العلماء فتاوى فيها تساهل يؤدي إلى فساد يضر بالأمة.
- إصدار العلماء فتاوى خاطئة ومتساهلة يتعارض مع مقصد التشريع ومقصد سياسة الأمة بما يرضى الله تعالى. قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[15].
- إصدار العلماء فتاوى فيها تجاوزات تشوه سمعة الإسلام وتضلل الناس وتنشر الفساد، مما يتعارض مع مقصد صلاح الأحوال الفردية والإجتماعية.

---

[14] أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

[15] الإسراء: ٣٦.

التوصية بإكرام العلماء

وبعد بيان أدلة فضل العلماء، كان حرياً بالأمة تكريم العلماء، ويمكن تحقيق ذلك بطرق عدة، منها:

- رفع درجتهم في المجتمع، ومكانتهم العلمية. وهذا غير أنهم يستحقون هذا بجدارة بدعم النصوص، إلا أنه أيضاً يعطيهم المكانة السامية في المجتمع التي تساعدهم على نشر الدعوة وإنصات عامة الناس لما يقولون.
- تزويدهم بالمال الذي يحتاجون إليه لمقومات الحياة ورعايتهم ورعاية أسرهم. فهم أقوام كرثوا حياتهم للعلم ونشره وخدمة الدعوة الإسلامية. وهذا يأخذ جل وقتهم بدلاً من التفرغ للعمل والكسب. فكان حريا بالأمة التكفل بما يحتاجونه. وهذا وإن لم يكن فرض ولكنه من باب الإحسان ورد الجميل ودعم العلم والمساعدة على زيادة العلماء ونشر العلم وتهيئة الأمة إلى قبول الدعوة.
- تشجيع الناس إلى السماع لنصحهم.
- جمع كلمتهم في دار إفتاء وتخير أكثرهم علماً للعضوية فيها.

- مراجعة ما ينشر من الفتاوى والعلوم في وسائل الإعلام والتعقيب عليها إن خالفت الشرع. فبما أن العلماء هم من يعلم الصواب وحباهم الله من العلم ما لم يحظى بهم غيره؛ كان حريا بهم التأكد من صحة ما ينشر بين الناس لاسيما من مشاهير هذا الزمان في مواقع التواصل وغيرها. وذلك لتأثيرهم الشديد على الناس وخطورة ذلك إن كان ما ينشرونه يخالف الشرع؛ فيتبعهم الناس برؤوس جهال.

تسخير التكنولوجيا لخدمة العلم والعلماء والدين:

لقد حبانا الله بنعمة التكنولوجيا التي سهلت أمور كثيرة في حياتنا ووفرت علينا الأوقات والجهد وسهلت التواصل ونشر العلم والأخبار والأعمال والمهام الحكومية والجامعية والطبية وغيرها. وهي وإن كانت نعمة إلا أن الكثير من الناس أساء إستخدامها. ولذا كان حرياً بنا كأمة مسلمة الإستفادة منها وبحث كيفية توظيفها لخدمة الدين والدولة والمجتمع المسلم. ومن

الأساليب التي يمكن الإستفادة منها في خدمة العلم والعلماء ما يلي:

- عمل مواقع إلكترونية للعلماء والمشايخ ورجال الدين. وعمل مواقع متخصصة للفتوى وطرح أسئلة العامة والإجابة عليها من قبل الشيوخ والعلماء.
- نشر كتب العلماء إلكترونياً وفي المكتبات الرقمية والبرامج الإسلامية كالمكتبة الشاملة وبرنامج أسفار وغيرهما.
- تسجيل الخطب والمحاضرات الصوتية.
- نشر التلاوات القرآنية.
- عمل الإذاعات الإسلامية.
- ترجمة المواد العلمية الإسلامية ونشرها في الدول الغير ناطقة بالعربية.
- تسهيل عمليات طباعة كتب العلماء ونشرها وتوزيعها.
- تسهيل جمع التبرعات والمساهمات التي توظف لنشر العلم ومساعدة العلماء.

- إستخدام الأجهزة الإلكترونية كالموبايل والكمبيوتر للإستماع للدروس ونشرها.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، طبعة دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي (٢٦١٠)، الطبعة

الأولى، المؤلف أبو عيسى محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٩٩٨م.

- سنن ابن ماجه (٣٩٩٢)، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ١٣٢٢/٢. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- مجموع فتاوى بن باز، من الموقع الرسمي لبن باز.
- تخريج الأحاديث من موقع الدرر السنية وموقع المكتبة الشاملة.



تم بحمد الله، إن أصبت فبفضل الله وكرمه

وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان

واسأل الله العلي العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل له

القبول وبه النفع

د. منال محمد أبو العزائم



